سيميوطيقية العنونة
في مجموعة (فضاءٌ لغبار الطلع) لأدونيس

م.م.علي هادي حسن حسين
جامعة كركوك كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم اللغة العربية

توطئـــة

لم يعد العنوان في النص الإبداعي الحديث مرشداً نتعداه إلى غيره ؛ بل اصبح حلقة اساسية ضمن حلقات البناء الاستراتيجي لخارطة النص الشعري ، وأصبح بالإمكان ان نتحدث عن شعرية ودلالة العنوان كما نتحدث عن شعرية و سيمياء النص[١] ، اذ عدّ العنوان من أهم العتبات النصية المهيكلة للنص الإبداعي، حيث يساهم في اكمال تراسم دلالات النص، واستكشاف معانيه الظاهرة والخفية فهماً و تفسيراً، تفكيكاً وتركيباً ، فالعنوان علامة سيميوطيقية دالة لكشف شفرات وأغوار النص ، والتعمق في شعابه التائهة، والسفر في دهاليزه الممتدة ،كما أنه الأداة التي بها يتحقق اتساق النص وانسجامه، وبه تبرز مقروئية النص، وتتكشف مقاصده المباشرة وغير المباشرة؛ فالنص لايتم الا بالعنوان والعنوان لايتجزء عن النص، وبينهما علاقات جدلية وانعكاسية، أوعلاقات تعيينيه أو إيحائية ، أوعلاقات كلية أو جزئية ، اذ لا يمكن مقاربة العنوان مقاربة علمية موضوعية إلا

بتمثل المقاربة السيميوطيقية التي تتعامل مع العناوين بوصفها علامات وإشارات ورموز وأيقونات،وفي المجموعة الشعرية لأدونيس (فضاء لغبار الطلع) نرصد سيمياء لعناوين فرعية ورئيسة تكشف للقارئ تجربة الشاعر الناضجة ، و ملكتة الفذة ، و عبقريتة المتقدة ،وفلسفته الخاصة التي تهفو إلى التربع على ملكوت الكون الشعري بعناوين تخرق باب الحداثة ؛وتقع على اشكال ايقونات معرفية مكثفة مثيرة لشهية القراءة منها: (اسئلة لامرئ القيس من على شرفة تطل على بحر العرب)التي تحتض تحتها مجوعة من العتبات الفرعية (العابر القيم، سندباد الكتروني، الليل والفجر ، يقين الموج ، شمس في رعاية الماء والرمل، مخيلة لابتكار المكان ، سوق الظلام وسوق الضوء ...)،ومن كردستان العراق يتخذ الشاعر عنواناً من شاهق الجبال التي اتخذت أوتاداً– لتكون العلامة الفارقة لإنسان هذا المكان، الا وهو (جذر السوسن) ويستظل تحت هذا العنوان الشاهق عدة عناوين فرعية منها (بيره مه كرون ، مه لكندي ،عينكاوه ،عمري خاور ،نبلوفر، مثاقفة) هذه وغيرها من العناوين التي ستكون محط بحثنا؛لانها تمتلك طاقة دلالية يحاول فيها الشاعر استنطاق الخيال والتحليق في فضاء الطلع واثارة التساؤلات و رسم إشارات الاستفهام ،سنحاول في دراسة هذه العناوين تحليلا وتأويلا، في محاور مختلفة بعيدا عن الدراسات المعتادة في الدرس السيميوطيقي والتي تدرس عبر منهجية قائمة للتحليل عبر المستويات الثلاث، البنية، والدلالة، والوظيفة وعلى اشكال مختلفة .

اولاً:سيميوطيقية الغلاف .

ضمن ملاحق مجلة دبي الثقافية التي تصدر من مؤسسة الصدى صدرت مجموعة شعرية صغيرة السن أنيقة الإخراج والتنفيذ للشاعر أدونيس تحت عنوان (فضاءٌ لغبار الطلع)[٢]،ليطل الشاعر بإطلالة العتبة الرئيسة للغلاف يشحن ذهن القارئ بصور وايقونات رمزية طلقة قابلة للتأويل والتناثر في فضاء متحرر ، تهيمن عليها خصائص تصورية ، ولاسيما من حيث العلاقة بين الدال والمدلول ليتخذ قسطا وافرا من حرية التحرر في تشكيلة سيميوطيقية ذات قيمة معرفية مكثفة [٣]؛يوعز للقارئ بان يمعن النظر في عتبة العنوان لما لها من اهمية قصوى في فك شفرات النص ، واستكناه مضامينه وتفكيك علاماته واستقراء محمولاته الدلالية ، فلا بد للقارى ان يكثف الدال قبل ان يبحر في عمق الاستنتاج لنصوص أدونيس ،ولاسيما ان للشاعر فلسفة متكاملة [٤] موظفة على قوالب شعرية متحررة من كل قيود القداسة . يتخذ الشاعر العتبة الرئيسة(فضاء لغبار الطلع) كعلامة فارقة تشير إلى المجهول من حيث الابتداء بالنكرة التي لايجوز الابتداء بها لغوية الا بمسوغ (فضاءٌ) ويعطيه موقعاً ستراتيجياً هاماً من الصدارة ويبرزه متميزاً بشكله وحجمه والذي يعتبر أول لقاء بين القارئ والنص [٥]. اذ بذل المبدع جهداً كبيراً لاقتناء هذا العنوان الساحرمن منفى ذاكرته كما يُخيل لنا ، ووضعه في الموقع اللائق ، متناسقاً مع ما سيتممه من علامات الايقونص الصورية، الذي أعطى بدوره بعدا جمالياً محاطاً بدلاله الغموض المقصودة لنصوص المجموعة الشعرية .

كما اشرنا بان الشاعر آثر الابتداء بكلمة (فضاء) مجردة من التعريف – نكرة – والمعهود في البنية اللغوية لا يجوز الابتداء بالنكرة إلا بمسوغ رغم وجود تقدير المسوغ تأويلاً (هو)؛لكن الشاعر حاول كسر القاعدة بنظام التأويل المقدر لمحو جدار الجمود والاقتصار ؛ لو اننا تخيلنا بان الشاعر جاء بكلمة (الفضاء) معرفة مراعاة للمنظومة النحوية ؛ لفقد العنوان الكثير من خصائصه التأويلية والتشويقة وطاقاته الايحائية ،لذا حصر الشاعر ذلك معرفة بتقدير وترك التقدير للمتلقى ، اتى بها لإرادة الاطلاق لان التخصيص هنا لايخدم رؤى ومنطلقات الشاعر، فهو يتكلم عن فضاء لم يعهده احد ولامثيل لهذا الفضاء المتحرر الا عنده فهو فضاء متخييل متخم بالوصف الطوبوغرافي[٦] الذي يجعل انتشار الغبار فيه فعلاً في وصف هلامي غير واضح المعالم بعيد عن زمن الانتاج ليتيح للمتلقي سيولية تصدير القيم التأويلة .

ثانياً:سيميوطيقة الايقونص

تعد ايقونة الغلاف في المنتج الطباعي الحديث ذا علاقة مكملة للنص الادبي بوصفها المفتاح الإجرائي الذي يمدنا بمجموعة من المعاني والرموز والدلالات التي تسعفنا بدورها في فك رموز النص، وتسهيل مأمورية الدخول في أغواره و تشعباته الوعرة[٧]،كما ينظر إلى الغلاف في النظرية السيميائية، وخصوصا (نظرية الأيقونص) المتفرعة عنها، بوصفه لوحة (**Tableau**) ضمن معمار النص، تشتغل بوصفها صفحة تتميز عن الصفحات المشكلة للنص بطابعها الدلالي الأيقوني، وبتنظيم العلامات البصرية بكيفية تجعلها ترسخ المتن النصي

بأكمله، وتبين سببية مجيء المعنى اليه ، واشتغاله على جملة النصوص المحصورة في حكمه.

في هذه المجموعة الشعرية وظف أدونيس لوحة تشكيلية سيميائية قائمة على الترميز والتدليل بين الفضاء باعتباره (المكان المتخييل) والأرض (المكان المتوقع) وما بينهما من النتاج الخصب . حيث يستخدم أدونيس دليلا صورياً مهيمناً على الخصائص التصويرية ،وباث في العلاقة بين الدال والمدلول[٨]، فالعنوان الخارجي كسلم يتأرجح عبر امواج الغيوم ليمد سهامه إلى فضاء طلق، ويجاور هذه اللوحة البصرية مزيج من تداخل الوان عدة يوظفها الشاعر بوظائف سيميائية معقدة ، تحيطها هالات الابهام ؛ ليؤكد التعيين والتسمية ،وليضع بصمة الجمال والفعل الإغرائي والإغواء الوظيفي على لوحة الغلاف [٩] ،وبحضور الطابع الإشهاري ، وذلك يجذب فضول المتلقي للغور في متن النصوص المطوية تحت سلطة الغلاف.

يعزز ادونيس سيمياء اللوحة بصورة شخصية له ، وهو يحمل دخان سيجارته الكرواتية بحركة يحاول فيها الشاعر تكثيف الدال والترميز إلى القوة والنفوذ والتحدي الأدبي ،ربما ان الشاعر كان متأثرًا بالرؤساء والقادة امثال (كاسترو وصدام) عندما كانا يظهران على شاشة الإعلام وهما يمسكان سجارتهما العملاقة[١٠]، وربما أن أدونيس يعيش في أجواء غير أجواء الماضي وهو ممسك بالسيجارة باصبعين ويظهر الأصبع في الصورة كعلامة النصر الادبي .

نعلم ان جاكوبسن قسم الانظمة الاشارية الى جانبين[١١]، فادونيس على وجه الغلاف يستقرأ جانبي هذا العلم – الجانب الظاهر: هي تلك الصورة الفوتوغرافية الشخصية وتلك العلامة الواضحة بين اصبعيه ودخان سجارته ،الدال

على الانا والنصر الادبي .- والجانب الاخر للعلامة لايمكن ادراكه حالاً لانه جانب استدلالي يحتاج الى الفهم والتميز بين الدال والمدلول وهذا مانراه على عناوين هذه المجموعة الشعرية (فضاء لغبار الطلع) .

ثالثاً: سيميوطيقية التساؤل

أدونيس لا يتناغم غالباً مع وتر التراث العربي ،الا بصيغة الشك او الاستنكار او التعجب او بطرح جملة من الأسئلة العابرة في محاولة منه إلى تحرير الفكر التراثي من القداسة التي تهيمن على نفوس بعض الكتاب والنقاد إلى يومنا هذا ؛ولان ثقافة أدونيس قائمة على غاية الاستعارة من مرجعيات مختلفة وبما يتناسب ويتلاءم مع منهاجه المرتسم ،فهو يحاول الاستعارة من الثقافة الغربية بغاية تكملة مابدأ به من مشروع حداثوي ؛لكنه لايطلق سهام الأسئلة والشك عند الاخذ من تلك الثقافات ،فهولا يحاور التراث العربي بما عليه لكنه ينهل من جذوره "بالطريقة الانتقائية "[١٢]،وبعدها يطلق حزمة من استجوابات كأنه قاض يخاطب متهماً.

الملاحظ ان الشاعر يضع تحت خيمة العنوان الرئيسي سبع عناوين فرعية تكتظ بعبارات وادوات وأسماء وعلامات الاستفهام بمعاني ودلالات مختلفة ،باحثا عن يقين يتوقعه دون غيره ومن العتبة الرئيسة تبدأ مفارقة النص كون العنوان يمثل "مرسلة" يطلقها أدونيس بطريقة اغرائية (العابر المقيم)كأن هذا العابر مستمر في العبور والاقامة ليجعل المتلقي اكثر ارتباطاً ببنية القصيدة ليكتشف سر هذا العبور والإقامة لتكون المرسلة (العنوان) متميزة بالطابع الاغرائي ، و"المرسل إليه"

متصف بالطابع الفضولي لكشف المدلول في هذا العنوان ..فهو يقول في قصيدة (العابر المقيم) :

من قال " الشاعر لايدخل السماءَ

إلَّا محروساً بالجحيم؟"

سؤال لايزال شعر طرفة ابن العبد .

يطرحه على ابجدية بحر العرب.

يسعى ادونيس دوما في خطابه الشعري ان يخلق ثغرات في الفهم والتأويل ،لايمكن ان تملأ بالتتبع الخطي للنص ،وانما يتم التغليب عليها بالقراءة العمودية ، أي بالانصراف الى التساؤل[١٣] وهنا يستفهم أدونيس بنفسه بأسلوب الإنكار تارة **(من قال)** وأخرى متعجبا ،وكأنه على يقين تام مما يطرحه ، فالشاعر في منظوره الخاص يرى ان الشعراء يدخلون طوق السماء دون الجحيم ؛لكنه يرسل بريده باستفهام ويضع شعر طرفة بن العبد على أبجدية هذا السؤال من باب التاؤيل ،ثم يكثف أدوات وأسماء واحرف الاستفهام بشكل كبير رغم اعتراف نفسه بيقين ما يتوقعه فهو يجعل من السؤال ماهو ماض وماهو متصل مستقبلي مستمر **(سؤال لايزال يطرحه طرفة بن العبد)** وما يضارع الحاضر ايضا لكن بهاجس التساؤل الخفي كما يقول :**انت الصحو وليس في خطواتك واهدابك الاوحل ينحدر من عفونات كفلتها سماء السماوات اضع راسي في رأسك واسأل ايانا الاخر .**

كثيرة تساؤلات أدونيس في قصيدة (العابر المقيم) ؛ لكن هذه التساؤلات تثير استفهامات عديدة منها :كيف يكون العابر مقيماً ؟وكيف له ان يكون معروفاً وهو عابر سبيل ،من خلال إطلالة (أل) التعريف على ركني الجملة الاسمية ، وكل مايحدث في جسد القصيدة من تحولات صريحة وتسأولات تعجبية تبحث عن حلول جذرية اذ نجده يقول:

الجهات هنا هي الجهات كلها

طيور مهاجرة .ابراج وبوارج . كيف لماذا اني اين ؟

اذا هل تعانق الرمل ايها الماء ؟هل تعانق الماء ايها الرمل ؟

هل العابر وحده هو المقيم ؟

هل الابدي هو ، وحده، الفقير إلى الزائل ؟

أدونيس في انزياح غير معتاد على نظام القولبة اللغوية يجمع في جملة واحدة أكثر من دالة استفهامية؛ ليستفسر عن ذاته **(كيف لماذا إني اين ؟)** ومانجده من أسئلة استفهامية هي اشبه بالعقد الفلسفية الدائمة التي تبحث عن حلول جذرية **(هل تعانق الرمل ايها الماء ؟هل تعانق الماء ايها الرمل ؟)** يضع أدونيس الكثير من هذه الاستفهامات الثنائية بين يدي القارئ لتشكل بدورها تساؤلات اخرى ،على عكس ماينتظره القارئ بمخيلته .والنص- معرفياً- احوج مايكون للاجوبة المقنعة التي تريح فضول القارى لذا عمد الشاعر الى جذب القارئ كي لا يعطي

شفرة التساؤلات على عكس المعتاد في النصوص الشعرية التي تتيح للقارى مجال الكشف والتأويل في غموض قصد المبدع ؛ لكن المبدع في هذه القصيدة هو بحاجة إلى كشف وتوضيح يفك له ماابهم عنده من يقين .

ان مايحدث في النص من مفارقات معنوية عكسية تتناسب تماما مع دلالة العبور الدال على الحركة (العابر) من جهة والسكون (المقيم) من جهة اخرى . وان النص الذي يكتمل في حضور أجوبة الآخر هو علامة كاملة تتناسب مع مدلول العنوان (المقيم) إذ إن العلامة الوسيطة التي تقوم بين العنوان والنص والقارئ تمثل القيمة السيموطيقية التي تبنى من مدلول العنوان ودال النص ووجود القارئ .

ان مايطمح به المتلقى في تضاريس هذه التساؤلات المكثفة هي (الاجوبة) التي تمحي امامه كل ضباب النص [١٤]، وتعطيه فكرة نقل الاستفهامات من مدلولها السيميائي المغري الى النمط الدلالي المعني ، بتفسير وتوضيح وتعديل اعوجاج راس علامة الاستفهام المتوعد ، وهذا لايعني ان كل قارئ يحاول فك واستيعاب شفرات النص بل لربما يكون القارئ ذا ميل استفهامي[١٥] يثير من النص تساؤلات اخرى دون ان يجد لاصلها الاول اجابات وهذا مايجعل النص مطوعا في فضاء التأويل ، ويرى ادونيس بان النص الشعري ليس مجبرا على تقديم عطاءات الاجوبة ؛ بل ربما يكون مجبرا على طرح الاسئلة التي تبث في الفكر المزيد من الحركة والتفكير[١٦] ، وهذه النظرة قريبة جدا من وجه نظر الرومانسيين والرمزيين منها الى الحداثيين.وهذا لايعنني بأننا نمحي الغموض والتساؤل من تقانات القصيدة الحديثة ولاسيما قصيدة النثر والذي يعد ادونيس احد روادها

رابعاً: سيميوطيقية المثاقفة

إن المتابع لنتاجات أدونيس الشعرية والنقدية يجد في متاهات افكاره مناهل عديدة متباينة وغير متوافقة ،ومتعارضة في بعض الاحيان ،اذ يأخذك في عمق التراث العربي لينهل منه ويشكل افكارا يستعرض من خلالها اشكال الحداثة بأسلوب تساؤلي او يستخدم الاساليب والادوات الحديثة ليقف على اطلال التراث المهدمة وبفلسفة قائمة على علامة يسميها (المثاقفة) ،والحقيقة أن أدونيس في كل ما استهدف متأثراً تماما بالتجربة الشعرية الغربية ولغتها بدرجة اعتبارها الاصل دون التراث، ويمكن أن نستدل على ذلك من تنظيره لقصيدة النثر في الخمسينيات والذي نقله عن كتاب "قصيدة النثر من (بودلير) حتى أيامنا هذه" للكاتبة "سوزان برنار" .

ان مثاقفة أدونيس تختلف في المفهوم والسيماء عن مصطلح المثاقفة العامة ، فهي ليست قائمة على التأثر والتأثير او الأخذ والعطاء كأن يثني على التراث الأدبي القديم وينطلق منه ؛لكن ما يفعله أدونيس هو هدم التراث والوقوف على انقاضه مرتفعا به من جانب، ومن جانب ينقل تجارب من أمم أخرى يريد أن يفرضها على الأمة بعد أن يهدم كل ما بنته أمتنا بفلسفة قائمة على اصل التنوير الغربي .

ينطلق أدونيس من مفهوم المثاقفه الخاصة في اختيار بعض العنوانات الانزياحية وغايتة الجمع بين ثنائيات تثير مخيلة القارئ وتدخله في دوامة التأويل ،والتي شكلت نظاما دلاليا اكثر مما هي نحوية او بلاغية او صرفية ؛ اذ امتازت بالطبعة الصدامية من حيث مخالفتها لمنطق الامور، اذا ماتأملنا قصيدة (السندباد

الالكتروني) نجد ان المبدع يجمع بين (السندباد) الشخصية الاسطورية (الخرافية) التي ظهرت في حكايات الف ليلة وليلة ،والتي تعود اصولها إلى العصر العباسي ، وبين عالم التكنلوجيا والالكترونيك التي تعود اصولها إلى عصر الشاعر ، هنا يريد الجمع بين التراث بعلامة (السندباد) والحداثة بعلامة (الالكترون).فهو يجمع بين ثنائيات تكمن غايتها في رسم صورة انزياحية خاصة تتلاءم مع عتبة عنوان الغلاف (فضاء لغبار الطلع) أدونيس هو مطلع ومسافر في هذا الديوان من الخليج العربي عبر بحر العرب إلى كردستان العراق ومنها إلى الصين وإلى كورتي نوفا لذا يعد نفسه السندباد ،وبلا شك ان تصنيف هذه القصيدة يعد الاول؛ لانها موطن الانطلاق دون الاعتراف بذلك فالتراث هو منطلق الشاعر لكنه كثيرا ما يستعير دون الاشارة كما في قصيدة (السندباد الالكتروني) [١٧] التي يعترف فيها بان الناقة –العلامة التي يطلقها أدونيس على الشعر القديم – مازالت تجدي للسفر فهو يقول :

اللحظة العابرة هي التي ترسم وجهه بحبر الابدية، ومع انه

استطاع ان يتنبأ بمجرى الكواكب ، فانه يقدر ان يسيطر على

مجرى السفن وشهواتها .

هكذا كتب في يومياته :

كلا .لن اقول :الناقة لم تعد تجدي [١٨] .

يحاول أدونيس اختياره (الناقة) و(اللفظة العابرة) كعلامات رامزة عن التراث العربي القديم وعن دلالة شعرية الارتجال العربي القديم تلك الابداعات التي رسمت بحبر الابدية ومازالت تناجي قلوب محبيها إلى الان . ترسم خطوط الابداع وتشبع غياتهم من الألفاظ والمعاني . رغم ذلك فان سيمياء المثاقفة عند اودنيس غير وافية لسيمياء المثاقفة المنصفة بين الثقافة العربية والغربية، فهو يأخذ الاول بالطعن والهدم والثاني بالتقديس والتعميم ،يعترف بذلك في قصيدته (مثاقفة) [١٩] اذ يقول :

اكتب كما لو انني امحو عتبات ، واقلع ابوابا...

اقيم فيه كأني الصاعقة التي ترجه ابدا..

وهو لايكتفي بهذا الهدم من قلع ومحو وتحطيم للابواب ؛بل يصف مايفعله بالصاعقة التي ترجه ابداً ، ثم يعود ليقف على ركام ماهدمه ويستعير قول الفيلسوف الفرنسي (عما نويل ليفيناس قائلاً):"**الانسان اكثر قداسة من الارض ولو انها مقدسة امام الهجوم على الانسان ، تبدو هذه الارض حجارة وخشبا**". وان كانت الحكمة في النص واضحة لكن الثوب المستعار لايمنح الدف كما يقال، وهنا يتضح ان تركيب الخطاب الثقافي لدى أدونيس اصبح بارزا من عتبة العنوان واصبحت ايديولوجية الفكر الغربي طاغية على اشعاره ،وهذا مابد واضحا في هذا الديوان من اشاعة التفاعل والمحو والتجاوز والتناقض .

خامساً: سيميوطيقية التناقض

لقد مرت الكتابة الشعرية عند ادونيس بأسلوبيات متفقة متنوعة تارة واخرى متناقضة متضادة تارة اخرى ، بدأ ت بالغنائية التي تهيمن فيها الذات على البنية النصية وانتهت بتناقضات باتت هي الفلسفة المسيطرة على نفسية هذا الشاعر [٢٠] وكما نعلم ان اصول التحليل السيميوطيقي قائم على تحليل الخطاب الابداعي على المستوى اللغوي بطريقة تستهدف شكل المضمون للوصول إلى المعنى الذي يبنى من خلال لعبة الاختلافات والتضاد، وبهذا تتجاوز بنية الجملة إلى بنية الخطاب، وهنا لا أهمية للمؤلف وما قاله النص من محتويات مباشرة وأقوال ملفوظة وأبعاد خارجية ومرجعية ممزوجة ؛بل مايهم السيميوطيقي هو كيف قال النص ، أي البحث عن دال أو شكل المدلول أو المحتوى على طريقة تقسيم (هلمسل) للدال والمدلول بطريقة رباعية: (دال الدال ودال المدلول ومدلول الدال ومدلول المدلول [٢١]).ويقوم هذا المربع السيميائي في شعر أدونيس على تشخيص علاقات التضاد والتناقض والاستلزام. ومن خلال الاختلاف والتناقض والتضاد تتولد المعاني على أشكال صورية مختلفة ،وتتمظهر على مستوى السطح بصيغ تعبيرية مختلفة ومتنوعة،اذ نلاحظ هذه الصور المتضادة موظفة في عنوانات القصائد (العابر المقيم) [٢٢] (سوق الضوء وسوق الظلام) [٢٣] ،(الليل والفجر) [٢٤] ؛ فالتشكيل السيميائي لبعض العناوين المتضادة في ديوان أدونيس (فضاء لغبار الطلع) قائم بين هذه الثنائيات المتضادة وشبكة العلاقات في تقييم الاشياء بعد الغاء وجودها الجوهري وهذا مانجده في قصيدة (العابر المقيم) [٢٥]

اذ يقول :

كيف يَشْفى المكانُ والزّمنُ هو نفسُه دَاؤُه

سؤالٌ أَقسم بعضُهم امامِيَ

أنّه يقدر ان يسمي السماء باسم اخر

اما انا فاكثر ميلا إلى الحياة

في جوف سؤال اخر يبدو كانه

ليس الا حوتا كونياً

فهنا يبحث أدونيس عن العلاقة بين المكان والزمان بصيغة التساؤل من حيث ايهما الداء وايهما الدواء بتكثيف عنصر التناقض بين (الشفاء للمكان) و(الداء للزمان) او بالعكس ،ويعد هذا التضاد العنصر المنطقي للبنية الاساسية للنص مع قاسمها المشترك (المرض)، محاولا عبر المناقض الغاء وجود احدى المتناقضين (بالموت) بعد المرض ومن ثم اطلاق اسم اخر للموجود الذي كان يسمى (السماء) بـ(اللاسماء) و(الارض) بـ (اللاارض) بعد الانعتاق من كل قيود الموجودات .

والمتأمل في قصيدة (الليل والفجر)يجد الدال في تلك الصورة الصوتية المركبة من (الليل والنهار)، و ما تثيره تلك الصورة في ذهن المتلقي ليرسم شكل المدلول دلاليا ،وهذا ماينطبق على جل اجزاء القصيدة فالمبدع يسترسل للمتلقى مجموع من

تلك العلاقات المتضادة بصورة سيميائة مكملة كما نشاهد ذلك في المخطط السيميائي ادناه :

العلاقات المتضادة
الليل + الفجر ــــ ا وداع +لقاء ــــ اكسر + زجاج ــــ االحديث +الصمت ــــ ايجلس +يهاجر ــــ ا صحراء +بحر ــــ ا

، اذ" يعتمد النص الادبي – على شاعريته ،على الرغم من ان النص يتضمن عناصر اخرى ولكن الشاعرية هي ابرز سماته واخطرها"[٢] ولا تتحقق الشاعرية لديهم الا بانتهاك قوانين اللغة المألوفة وتحويلها إلى سحر ينتهك بدوره الواقع المعتاد ويحوله إلى خيال ، كما نجد هذا التصور لدى (الغذامي) حيث يقول :" فان الشاعرية انتهاك لقوانين العادة ينتج عنه تحويل اللغة من كونها انعكاسات للعالم او تعبيراً عنه او موقفاً منه "[٢] ، إلى ان تكون هي نفسها عالماً اخر ربما بديلاً عن ذلك العالم.

سادساً: سيميوطيقية الاسترابة

استخدم القدماء والمحدّثون الشك منهجاً علميا في البحث والتقصي منذ القرون الأولى للهجرة بالإضافة إلى اشتراط الملاحظة العلميّة والمقصودة والمباشرة مع سلامة الحواس وقوّة الذاكرة والحرية ووضعوا مجموعة من الاليات والادوات لبناء منهجية الشك القائمة على المعقول واللامعقول ؛ لكن أدونيس يستخدم الشك علامة

للتحرر ودليلا للحرية اولا ،ويستخدم الشك من باب طرح الكينونة في اصل مصطلح اليقين (الاسترابة)[٢٦] وهو يطمع فيها كل علم ناشئ ليستطيع أن يقوى وينمو ويأخذ بحظّهِ من الحياة[٢٧]. و يعد أدونيس من ممنهجي هذه الدعوة بعد طه حسين في الساحة العربية ، وكما اشرنا في صفحاتنا السابقة ان أدونيس لايتناغم ولايقدس كل ما يقرئه من الادب وان تيقن حقيقة وماهية المقروء ؛لذا نجده يرجع بعد حين ليرجح يبث الشك والتكذيب ولخلق افكار جديدة غير معتادة ؛ فكل ماهو مقدس من اللغة والادب خاضع للبحث العلمي ، والبحث العلمي الصحيح قد يستلزم النقد والتكذيب والإنكار والشك .

يعرض أدونيس كل الأشياء المقدسة للشك وينظر اليها من حيث هي غير قائمة على اسس ثابتة ؛ بل خاضعة للبحث والتقصي، ويعمل على استخراج الحقائق من حقيقة هو متيقن منها . اختلاف مفهوم الشك بين ديكارت وأدونيس ، أن ديكارت حين طرح مفهوم الشك إنما طرحه ليؤسس اليقين ، بينما أدونيس حين يطرح شكوكه إنما يطرحها ليجعل منها يقيناً . ديكارت يشك في وجود الوقائع التاريخية والحقائق المغروسة في الأذهان ليعود ويثبت وجودها أو ينفيه ، بناء على مطابقة العقل (= منشيء الفكر) للطبيعة (= مختبر الفكر) ، بينما أدونيس يشك في الوقائع التاريخية لأنه يكرهها ولا يستسيغها ، فتراه يحكم عليها " بالسلبية " قبل أن يبرهن على أدلة سلبيتها ،وأدونيس ليس متلائم مع هذا ، لأنه لا يملك منهجية ديكارت ولا أهداف ديكارت من شكوكه. لقد قال ديكارت : " أشك في وجود كل شيء ، إلا شيء واحد وهو : أنني أشك : إذن أنا فكر ، إذن أنا موجود[٢٨] ، فماذا قال أدونيس غير الدعوة للشك على أساس

سلبية التاريخ العربي ،ان المتأمل في قصيدة (يقين الموج) يجد ان الشاعر يبحث عن دلالة الشك في كلمة اليقين والنص قائم على ركنيين اساسيين هما ..صيغة السؤال + لفظة البحر ..مما يعكس لنا محاولة الشاعر في استثارة ذلك التسأؤل باليقين عبر مايوحي به البحر من دلالة ؛لذا اطلق عنوان (يقين الموج) اذ يقول فيها :

تلك هي امواج لاعهد لي بها ..

لارغبة لي غير الرغبة ..

يخييل كأنك تعزف للمرة الاولى ..

كأنه حي في مدينة الفضاء ..

ذلك المجهول ..

لاجذور الا في الماء

هل تصدقون ان قلت لكم ان الكون مثلث

هل تقولون لنا اين تلك المرافئ..

يكثف الشاعر في النص رمزية الشك في علامات غير معقولة تصدم القارئ وتأخذه الى رسم علاقات رؤيوية تغيب عنها ركنا الدال والمدلول ' مستخدما ظاهرة التماهي للتحول بين ذات الشاعر(قلت ،لاعهد لي ،لارغبة لي ، يخييل) والطبيعة

بأشكالها (الكون ، البحر ، الجذور ، الامواج) محاولا في ذلك ان يجعل القارئ في شك ما ليبحث في اعماق ذات الشاعر والكون وليتوصل الى دلالات قائمة على هشاشة الشك . وما نلاحظه في المخطط السيمائية ان ادونيس ينطلق من يقين يتوقعه هو ليبث بأسلوبه مجموعة من الشكوك.

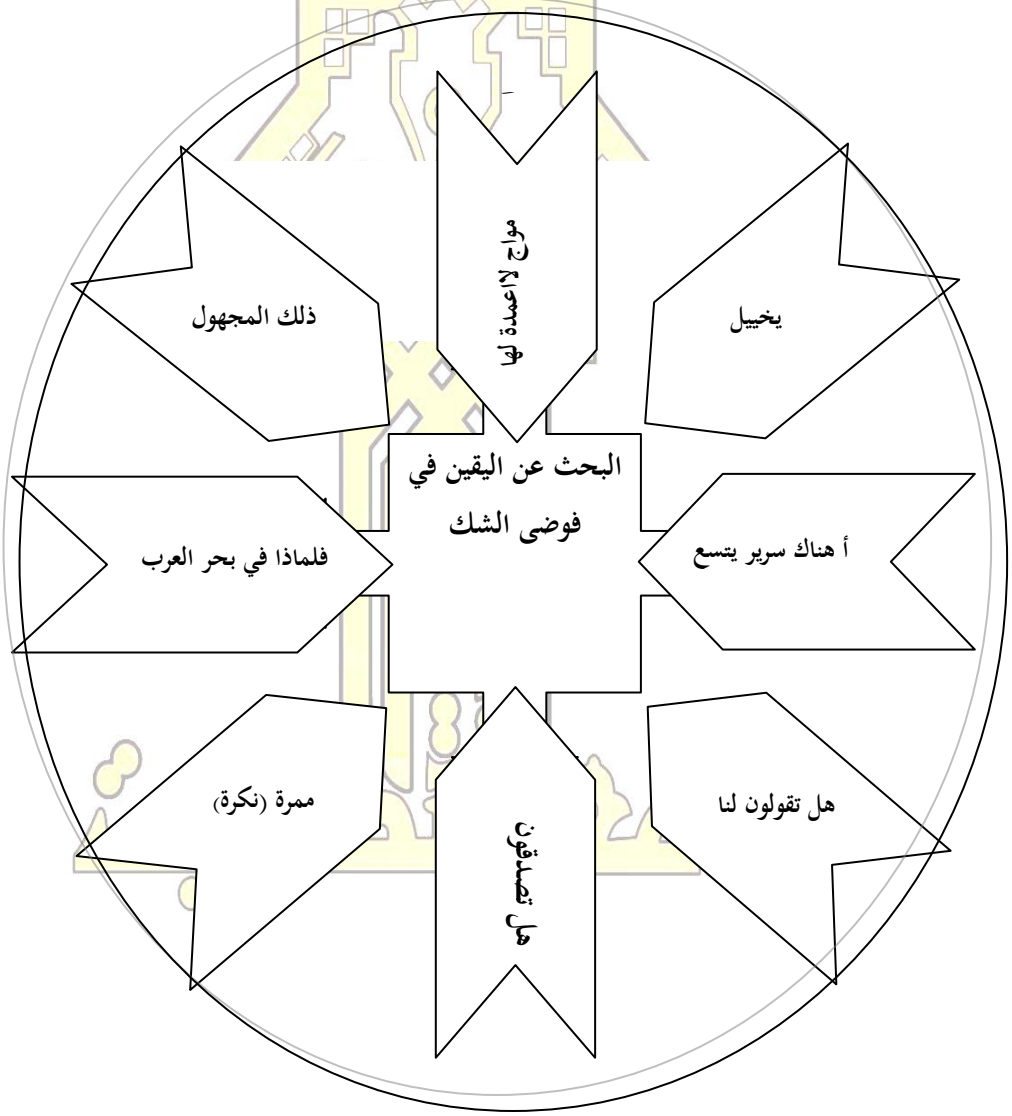

الخاتمة

تعد المجموعة الشعرية لأدونيس مغامرة مكانية سافر بها في فضاء مفتوح ليحمل القارئ معه . اذ بدأ من الخليج العربي ووقف وقفة عتاب عند امرئ القيس من على بحر العرب واستنطق جملة من العناوين كعلامات لطرح الأسئلة من شرفة تطل على (الخليج العربي) ثم سافر إلى اقليم كردستان من السليمانية ليتخذ عناونين بوظائف متعددة بدءاً من (جذر السوس) حيث الدلالة في غياب الدال بين العنوان وشعرية النص ،واستمرارا بـ(بيره مه كرون)واستنطاق جمالية المكان وعلاقة اللفظة وغياب اصل المصطلح ،وانتهاء في سيمياء (مقهى الشعب عمر شريف) كعلامة واضحة لثقافة المدينة وقد التمسنا اخذ نماذج معينة من تلك العناوين تطبيقنا لاشكال السيميوطيقة .واهم مااتضح لنا :

١- ان العلاقة السيميائية بين العنوان ومتن النص لم تكن علاقة بفاصل تاريخي او لغوي، أي ان ادونيس على خلاف معظم شعراء العرب لايكتب النص ومن ثم يختار عنواناً مناسباً لهذا النص ؛ بل يضع العنوان ومن ثم يبني عليها النصوص على قوالب متعددة برابط علامتي خاص .

٢- ادونيس لم يكتفي بالنص وعلاقته السيميائية بالعنوان ؛بل حاول تثبيت أو كسر غموض السيمياء الموظفة في العنوان. وخلق بنية داخلية كي يضفي عليه نوعاً من الاستقلالية والتميّز لايجاد الدال المفقود الذي يتمم جمالية العنوان به متلاحما مع البنية الداخلية .

٣- يتمتع العنوان في هذه المجموعة بقابلية كبيرة في تشكيل حالة لجذب وإغراء المتلقي ويتيح له امكانية الدخول في تجربة قراءة النص، ومن هنا فإن على دارس شعر أدونيس أن يدرك أن العنوان غدا جزءاً من استراتيجية النص الأدونيسي، لأن له وظيفة في تشكيل اللغة الشعرية ليس بوصفه مكملاً أو دالاً على النص، ولكن من حيث هو علامة لها بالنص علاقات اتصال وانفصال. كون العنوان عدّ علامة لها مقوماتها الذاتية مثله مثل غيره من العلامات المنتجة للمسار الدلالي.

الهوامش

(١) – سيموطيقيا العنوان في شعر عبد الوهاب البياتي ،عبد الناصر حسن محمد ،دار النهضة العربية ،ط١(القاهرة :٢٠٠٢) ص١٤-١٥.

(٢) – فضاء لغبار الطلع ، أدونيس ، دار الصدى للصحافة والنشر والتوزيع ، كتاب مجلة دبي الثقافية ، الإصدار ٤٠ ،الطبعة الاولى (دبي :٢٠١٠).

(٣) – ينظر:المصطلحات الاساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية ،نعمان بوقرة ،جدارا للكتاب العالمي ، الطبعة الاولى ،(عمان :٢٠٠٩) ص١٣٠.

(٤) –أدونيس اوالاثم الهيراقليطي ،عادل ضاهر ، دار التكوين للطباعة والنشر ،الطبعة الاولى ، (دمشق :٢٠١١)ص١٣..

(٥) – الخطيئة والتكفير، عبد الله الغذامي ، منشورات النادي الثقافي، ط١، (السعودية، ١٩٨٥)، ص٢٦٣.

(٦) – معجم السرديات ،محمد القاضي ،محمد الخبو ، واحمد السماوي وخمس اخرون ،بإشراف محمد القاضي دار الفارابي للنشر ،الطبعة الاولى ،(بيروت :٢٠١٠)،ص٣٠٦..

(٧) – السيميوطيقا والعنونة، جميل حمداوي ، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج٢٥، ع٢٣، يناير/ مارس ٩٧، ص٩٠.

(٨) – المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية ،جدارا للكتاب العالمي ، الطبعة الأولى(عمان :٢٠٠٩) ص٦٣.

(٩) – معجم مصطلحات السميوطيقيا ،برونوين ماتن ، فليزيتاس رينجهام ،ترجمة عابد خزندار ،مراجعة محمد بريري،الطبعة الاولى ،المركز القومي للترجمة والنشر ،(القاهرة :٢٠٠٨) ص١٤٨.

(١٠) – قراء ة في سيجارة أدونيس، عمار باطول ،مجلة المدنية ،(ملحق الاربعاء الالكترونية) ،د.ع ،الاربعاء ١٤/١١/٢٠١٢.

(١١) – ينظر: البنيوية وعلم الاشارة ،ترنس هوكز ،ترجمة مجيد الماشطة ،ومراجعة ناصر الحلواني ،سلسلة المائة كتاب،دار الشؤون الثقافية ،ط١(بغداد :١٩٨٦)ص١١٥.

(١٢) – قراءة المقترح الادونيسي الشفرة والدال والسيرالذاتي انموذجاً، حاتم الصكر ،مقال في مجلة شرفات ،العدد الاول ،ايلول ٢٠١٢،ص٨٨-٩٩.

(١٣) – لسانيات الخطاب ،مدخل الى انسجام الخطاب ،محمد خطابي ،المركز الثقافي العربي دار البيضاء ،ط١(بيروت :١٩٩١) ص٢٣٦.

(١٤) – ينظر:الشعر والاسطورة ، موسى زناد سهيل،دار الشؤون الثقافية ،الطبعة الاولى (بغداد:٢٠٠٨) ص ٨.

(١٥) – ينظر :التخييل القصصي الشعرية المعاصرة ، شلوميت ريموت كنعان ، ترجمة ،لحسن احمامة ،دار التكوين ، الطبعة الاولى ،(دمشق:٢٠١٠) ص٣٣.

(١٦) – ينظر : حوار مع ادونيس ، صقر ابو حامد، ص٣٤. وينظر : النظرية الشعرية عند اليوت وادونيس ، عاطف فضول ، الطبعة الاولى (دمشق :٢٠١٣) ص١٨٢.

(١٧) – فضاء لغبار الطلع ، أدونيس ،ص15.

(١٨) – فضاء لغبار الطلع ، أدونيس ،ص15.

(١٩) –فضاء لغبار الطلع ، أدونيس ،ص٥٤.

(٢٠) – قراءة المقترح الادونيسي الشفرة والدال والسيرالذاتي انموذجاً، حاتم الصكر ،مقال في مجلة شرفات ،العدد الاول ،ايلول ٢٠١٢،ص٨٨–٩٩.

(٢١) –ينظر :مكاشفة سيميائية دلالية لقصص الحب في رسالة طوق الحمامة (ابن حزم الاندلسي ت٤٥٦)، كبوط عبد الحليم جامعة بانتة :ص١١.

(٢٢) – فضاء لغبار الطلع ، أدونيس ،ص١٣.

(٢٣) – المصدر نفسه: ص13.

(٢٤) – المصدر نفسه: ص18.

(٢٥) –المصدر نفسه:ص١٣.

(٢٦) –معجم مصطلحات السيميوطيقا، مصدر سابق:١٩٥.

(٢٧) –في الأدب الجاهلي، طه حسين، الطبعة الاولى ، دار المعارف (القاهرة: ١٩٢٧) ص٥٥ .

(٢٨) –ادونيس بين الخرافة والتخريف ماذا بقى من الحداثة ، محمود الكسواني ،بحث منشور على صفحة الانترنيت "www.alarabnews.com: .

المصادر والمراجع

- أدونيس اوالاثم الهيراقليطي ،عادل ضاهر ، دار التكوين للطباعة والنشر ،الطبعة الاولى ، (دمشق :٢٠١١) .
- ادونيس بين الخرافة والتخريف ماذا بقى من الحداثة ، محمود الكسواني ،بحث منشور على صفحة الانترنيت "www.alarabnews.com: .
- البنيوية وعلم الاشارة ،ترنس هوكز ،ترجمة مجيد الماشطة ،ومراجعة ناصر الحلواني ،سلسلة المائة كتاب،دار الشؤون الثقافية ،ط١(بغداد :١٩٨٦).
- التخييل القصصي الشعرية المعاصرة ، شلوميت ريموت كنعان ، ترجمة ،لحسن احمامة ،دار التكوين ، الطبعة الاولى ،(دمشق:٢٠١٠).

- حوار مع ادونيس ، صقر ابو حامد، ص٣٤. وينظر : النظرية الشعرية عند اليوت وادونيس ، عاطف فضول ، الطبعة الاولى (دمشق :٢٠١٣) .
- الخطيئة والتكفير، عبد الله الغذامي ، منشورات النادي الثقافي، ط١، (السعودية، ١٩٨٥).
- سيموطيقيا العنوان في شعر عبد الوهاب البياتي ،عبد الناصر حسن محمد ،دار النهضة العربية ،ط١(القاهرة :٢٠٠٢).
- السيميوطيقا والعنونة، جميل حمداوي ، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج٢٥، ع٢٣، يناير/ مارس ٩٧.
- الشعر والاسطورة ، موسى زناد سهيل،دار الشؤون الثقافية ،الطبعة الاولى (بغداد:٢٠٠٨)
- فضاء لغبار الطلع ، أدونيس ، دار الصدى للصحافة والنشر والتوزيع ، كتاب مجلة دبي الثقافية ، الإصدار ٤٠ ،الطبعة الاولى (دبي :٢٠١٠).
- في الأدب الجاهلي، طه حسين، الطبعة الاولى ، دار المعارف (القاهرة: ١٩٢٧) .
- قراءة المقترح الادونيسي الشفرة والدال والسيرالذاتي انموذجاً، حاتم الصكر ،مقال في مجلة شرفات ،العدد الاول ،ايلول ٢٠١٢.

- قراءة المقترح الادونيسي الشفرة والدال والسيرالذاتي انموذجاً، حاتم الصكر ،مقال في مجلة شرفات ،العدد الاول ،ايلول ٢٠١٢،ص٨٨-٩٩.
- قراءة في سيجارة أدونيس، عمار باطول ،مجلة المدنية ،(ملحق الاربعاء الالكترونية) ،د.ع ،الاربعاء ١٤/١١/٢٠١٢.
- لسانيات الخطاب ،مدخل الى انسجام الخطاب ،محمد خطابي ،المركز الثقافي العربي دار البيضاء ،ط١(بيروت :١٩٩١).
- المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية ،جدارا للكتاب العالمي ، الطبعة الأولى(عمان :٢٠٠٩) .
- المصطلحات الاساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية ،نعمان بوقرة ،جدارا للكتاب العالمي ، الطبعة الاولى ،(عمان :٢٠٠٩)
- معجم السرديات ،محمد القاضي ،محمد الخبو ، واحمد السماوي وخمس اخرون ،بإشراف محمد القاضي دار الفارابي للنشر ،الطبعة الاولى ،(بيروت :٢٠١٠).
- معجم مصطلحات السميوطيقيا ،برونوين ماتن ، فليزيتاس رينجهام ،ترجمة عابد خزندار ،مراجعة محمد بربري،الطبعة الاولى ،المركز القومي للترجمة والنشر ،(القاهرة :٢٠٠٨) .
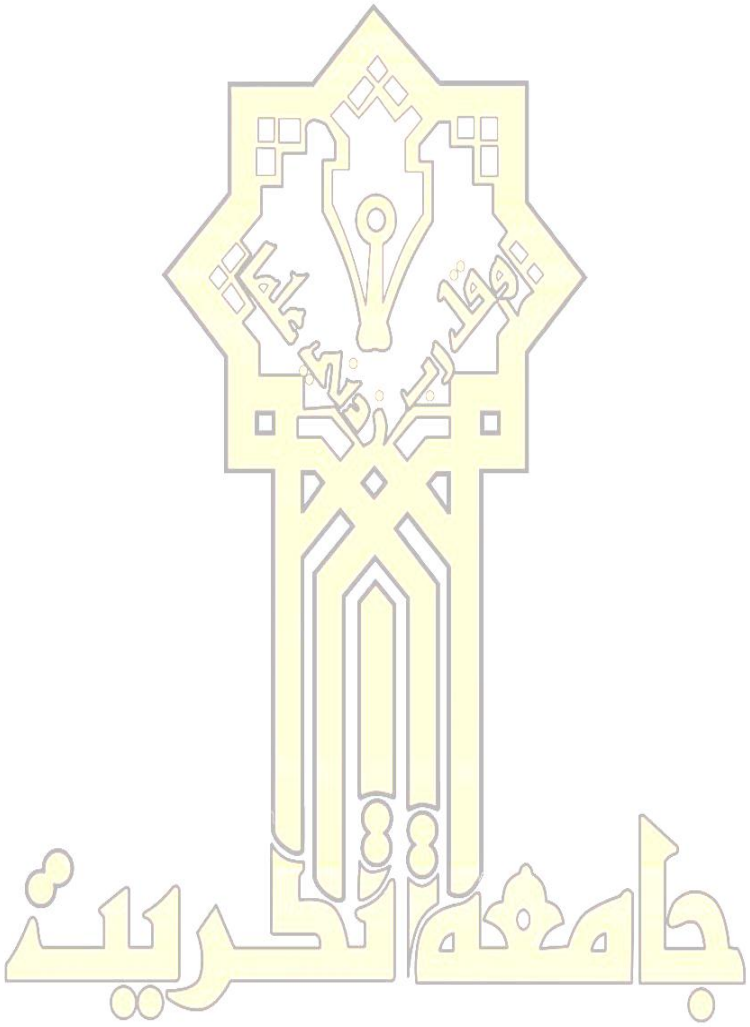
❖ مكاشفة سيميائية دلالية لقصص الحب في رسالة طوق الحمامة (ابن حزم الاندلسي ت٤٥٦)، كبوط عبد الحليم جامعة بانتة